خطبة صلاة الجمعة 8/ 3/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(كيف أساهم في تحرير فلسطين؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13].

وقال سبحانه: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس:٨٣].

قال ابن كثير: هم الشباب.

أخرج الحاكم والبيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**».

أيها الإخوة:

نحن في الخطبة السادسة والعشرين من سلسلة (هموم الشباب).

عنوان خطبة اليوم: **كيف أساهم في تحرير فلسطين؟**

أيها الإخوة:

فلسطين أرض المسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالثِ الحرمين الشريفين، والذي لا تُشَدُّ الرحال إلا إليه وإليهما.

فلسطين إلى مسجدها سرى نبينا، وعلى ترابها صلى إماماً بالأنبياء، ومنها عرج إلى السماء، عليه الصلاة والسلام.

فلسطين ضمّتْ تربتُها أجسادَ الأنبياء؛ ففيها دُفنَ سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وداود وسليمان وزكريا ويحيى وموسى، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

فلسطين الأرض التي دخلها عدد غفيرٌ من الصحابة وعاشوا فيها، ومات عددٌ منهم فيها، منهم سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ أول من ولي قضاءها سكنَ بيت المقدس ودُفن فيه، ومنهم أبو عُبيدة بن الجراح رَضِي الله عنْهُ؛ كان قائد جيش الفتح لفلسطين وسائر الشام، ومنهم سيدنا بلال بن رباح رَضِي الله عنْهُ؛ شهدَ فتح بيت المقدس وأذّن في المسجد الأقصى، ومنهم سيدنا تميم الداري؛ كان أميراً على بيت المقدس، ومنهم مُعاذ بن جبل، وعياض بن غنم، وخالد بن الوليد، وأبو هُريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عُمر بن الخطاب، وشداد بن أوس، وعمرو بن العاص رَضِي الله عنْهُم أجمعين، وغيرهم كثير.

فلسطين أرض رباط المجاهدين الصادقين إلى يوم القيامة؛ عن أبي أُمَامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**». قالوا: يا رسول الله: وأين هم؟ قال: «**بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**» [مسند أحمد].

فلسطين أرض المحشر والمنشر؛ فعن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: قلتُ: يا رسول الله: أَفْتِنَا في بيت المقدس، قال: «**أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ**» [ابن ماجه].

فلسطين البلد التي دخلها وتسلم مفاتيح بيت المقدس فيها الفاروق عمر بن الخطاب، في سنة 15 للهجرة، وقال يومها: "نحن قومٌ أعزَّنا اللهُ بالإسلام، ومهما نُرِدِ العزةَ في غيره يذلُّنا الله!".

دخل عمرُ المسجدَ من الباب الذي دخل منه رسولُ الله ليلة الإسراء، ويقال: إنه لبَّى حين دخل بيتَ المقدس، فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلَّى بالمسلمين فيه صلاة الغداة، قرأ بالركعة الأولى بسورة (ص) وسجد فيها، وفي السورة الثانية بسورة (بني إسرائيل).

حُرِّر كتاب فتح القدس بتوقيع سيدنا عمر بن الخطاب، وشهد عليه سيدنا خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم.

فلسطين على أرضها دارت مواقع إسلامية خالدة؛ كأجنادَيْن وبيْسَان وحطين وعين جالوت.

بدأت الحملات الصليبية على ديار المسلمين سنة 1099 للميلاد، واتبع الفرنجة في سيرهم إلى البيت المقدس سياسة الأرض المحروقة، فلم يمروا على أرض إلا أحرقوا ما فيها من أخضر ويابس، ووصلوا القدس وحاصروها أربعين يوماً، ثم دخلوها وعاثوا فيها فساداً يدمرون وينهبون ويقتلون.

قال ابن الأثير في كتابه الكامل للتاريخ يصف مذبحة القدس: (وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم وعبادهم، ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف، وأخذوا من عند الصخرة، نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة، ثمن كل قنديل: ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وغير ذلك كثير).

وفي سنة 1187 للميلاد، جاء صلاح الدين الأيوبي وحارب الصليبيين في عدد من المعارك؛ أهمها: حطين، انتصر فيها عليهم، وسيطر على كلِّ فلسطين، وأعادها لأهلها، ثم مضى إلى القدس فحاصرها خمسة أيام، فما كان منهم إلا أن سلّموه إياها وطلبوا الأمان فأمنهم، ولم يقتل واحداً من الذين أخذوا الأمان منه، وسلمت له المدينة في اليوم السابع والعشرين من رجب في السنة 583 للهجرة.

فرح المسلمون فرحاً شديداً، واجتمع لذلك العلماء والصالحون وعباد الله المؤمنين، ونظفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير.

قال صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين يصف صلاح الدين وهو ينقل الحجارة بنفسه لعمارة سور القدس فيقول: (ولو رأيته وهو يحمل حجراً في حجره؛ لعلمت أن له قلباً قد حمل جبلاً في فكره، وأقيمت في المسجد الأقصى صلاة الجمعة، وامتلأ الجامع، وسالت لرقة القلوب المدامع، ولَمَّا أذّن المؤذنون للصلاة قبل الزوال؛ كادت القلوب تطير من الفرح من ذلك الحال).

ومرت الأيام وجاءت بريطانيا وأشياعها لاحتلال فلسطين سنة 1917 بقيادة اللمبي، وعند دخوله القدس، قال: ها قد عدنا يا صلاح الدين، وبقيت فيها بريطانيا حتى عام 1948 حين سلّمتها للكيان الإسرائيلي.

واستكملوا احتلالهم لفلسطين والقدس في عام 1967 حيث دمروا حي المغاربة، ومازالت محتلة يعيث الصهاينة فيها وفي مسجدها فساداً، ولا شكَّ أن هذا يحدث في قلوب العرب والمؤمنين جرحاً عميقاً، ويضرم في قلوب شبابنا ألماً دفيناً، ويوقد في هممهم عزماً أكيداً ليخرج منهم ناصرٌ يكونون معه جنداً لتحرير فلسطين، ويجد أحدهم هماً بين جنباته يدعوه للسؤال مرة بعد مرة: كيف أساهم في تحرير فلسطين؟!

وللجواب على هذا السؤال أقول:

يمكن لكلّ صادقٍ أن يجد مفردات كثيرة لنصرة فلسطين، غير أني أذكر منها أربعةً في مقدور كل شاب من شبابنا وكل فتاة، بل بمقدور كلٍّ منا أن يقدمها مساهمة لتحرير فلسطين:

أولاً: كن متمسكاً بدينك:

أولُ واجبٍ مطلوب منك، أن تُصلح نفسك وتجدد توبتك وتجاهد شيطانك وتتمسك بأوامر دينك وتجتنب نواهيه، وأن تجتهد لتكون لبنةً قويةً في حائط الصدِّ عن الإسلام والمسلمين، واحترس أن يُؤتى الإسلام من قِبلك، فمن انتصر على نفسه الأمارة بالسوء فهناك ينتصر على عدوه، ومن ضعف أمامها فهو أمام عدوه أضعف.

نشرت صحيفة (إيديعوت احرانوت) الإسرائيلية العنصرية في العدد 11-3-1987 تقول: (إنَّ على وسائل إعلامنا -أي اليهودية الصهيونية- أن لا تنسى حقيقةً مهمَّةً هي جزءٌ من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن تلك المعركة).

وقبلها قال بن غوريون: (نحن نخشى الإسلام هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ).

يريد عدوُّنا إبعادنا عن ديننا، وإبعاد ديننا عنا وعن معركتنا، والرد يكون: بزيادة تمسكنا بديننا، فمن أدخل الدين إلى بيته ومعمله وسائر شؤون حياته فإنه بذلك يستعِد ويُعِدُّ أولاده للقاء هؤلاء الأعداء.

ومن ضعف أمام شهواته، وخار أمام غرائزه، فلم يأتمر بأمر الدين ولم ينته عن نهيه؛ فإنه يُقدِّم لأعداء العرب والمسلمين أكبر خدمة يطمحون إليها، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:40].

ثانيًا: ادرس واعرف أبعاد القضية الفلسطينية:

فمعرفة تاريخ فلسطين وتاريخ الصراع مع مغتصبيها، والتعرف على مؤامرات الأعداء عليها وعلى عقيدة المسلمين وبلادهم، ومعرفة الحكم الشرعي لتحريرها تجعلك من المنافحين عنها بثبات والذائدين عنها عن اعتقاد.

وفي معرفة الحكم الشرعي لتحرير فلسطين أقول: اتفق الفقهاء بأن تحرير أي بلد إسلامي اغتصبه الأعداء فرض على المسلمين، يبدأ بتحريرها أهلُ ذلك البلد، فإن لم يكن بهم طاقة أعانهم من بجوارهم ثم من يليهم حتى تتحرر تلك البلدة، ويُبْذَل في ذلك كل وسيلة شرعية ممكنة، وعلى رأس هذه الوسائل يأتي الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال والقلم واللسان، ولا يُنْظَر في ذلك إلى فَقْدِ الأرواح والأموال؛ فإن فقْدَ البلاد المحتلَّة تفريطٌ في الدين، وفي سبيل حفظ الدين يُضَحَّى بكل غالٍ ونفيس.

قال صاحب (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر): "الْجِهَادُ مَاضٍ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" وإن تركه الكلُّ أثموا.. فإن غلب العدو على بلد من بلاد الإسلام، أو ناحية من نواحيها ففَرْض عَيْنٍ، فتخرج المرأة بلا إذن الزوج، وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه، والغريم بغير إذن دائنه".

وقال صاحب (بلغة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك): (ويتعيَّن – أي الجهاد فيصير فرض عين– بتعيين الإمام, وبهجوم العدو على محلَّة قوم، فيتعيَّن عليهم وعلى مَنْ بقربهم إن عجزوا... ويتعيَّن –أيضًا– بالنَّذْر).

ثالثاً: استفد من وسائل التواصل والاتصال لدعم تحرير فلسطين:

وذلك بإنشاء المنتديات والمدونات والصفحات والمواقع، وكتابة المقالات ونشر الكتب والأبحاث والصور والخرائط التي تخدم القضية الفلسطينية وتفضح فظائع العدو الصهيوني، والرد على المواقع التي تدافع عن الصهيونية وتفنيد مزاعمها، وإرسال صور المجازر إلى المنظمات الدولية والحقوقية حول العالم، وينفع كل ذلك في التأثير على الرأي العام العالمي.

رابعاً: ثق بالله ولا تيأس ولا تحرم إخوانك المرابطين في تلك البقاع المقدسة من كل عون، ولا تعجز عن الدعاء:

ففلسطين لأهلها، ومهما طال احتلالها ستعود لهم، خاصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم حدّثَ عن هزيمة اليهود الصهاينة وانتصار المؤمنين عليهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: 4، 5].

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تقوم الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجَر والشجرِ؛ فيقول الحجرُ أو الشجرُ: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودِيٌّ خَلْفي، تعال فاقتلهُ إلا الغَرْقَدَ، فإنَّه من شجر اليهود**».

ولعل هناك من يقول: العدو يقتل الكثير، ويحرق الكثير، ويغتصب في كل يوم جديد فكيف لا نيأس؟!

كتب أحد المفكرين اليهود يقول: (إن الأعداد في مثل هذه المواجهة غير موضوعية، لقد قُتِل من الأمريكيين خمسون ألفاً، وقُتِل من الفيتناميين ثلاثة ملايين، لكن الذي ربح أخيراً هم أهل الفيتنام

وخسرت هنالك أمريكا، لقد قُتِل من الفرنسيين بضعة آلاف، وكان شهداء الجزائر نحو المليون، ولكنهم كانوا هم المنتصرين، وخرج الغاصب المحتل مدحوراً).

إن الأعداد في هذه القضية ليست مقياساً للربح والخسارة! فثِقْ بنصر الله وعودة الحق لأهله، ومهما استطعت أن تدعم جهد أهلنا بفلسطين بأمرٍ فافعل، إن استطعت بمالٍ فافعل، وإن كنت صاحب قلمٍ فافعل، وإن كنت صاحب منبرٍ فافعل، وإن استطعت بمقالٍ فافعل، ومهما يكن من أمرٍ فلا تبخل عليهم ولهم بالدعاء، واعلم بأنَّ المرء يؤجر على نيته.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» [البخاري].

وبعد أيها الشباب:

هذه أربعة بها يساهم أحدكم في تحرير فلسطين:

أولاً: كن متمسكاً بدينك.

ثانياً: ادرس واعرف أبعاد القضية الفلسطينية.

ثالثاً: استفد من وسائل التواصل والاتصال لدعم تحرير فلسطين.

رابعاً: ثق بالله ولا تيأس، ولا تحرم إخوانك المرابطين في تلك البقاع المقدسة من كل عون، ولا تعجز عن الدعاء.

اللهم طهّر فلسطين وسائر بلاد المسلمين المحتلة من رجس الغاصبين، وأعنا على نصرة الحق والدين.

والحمد لله رب العالمين